أَثَرُ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينِ الدَّلَالَةِ لَدَى مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

The effect of intertextuality in enabling meaning among interpreters of the Holy Qur'an

إعداد

د. عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيُّ

Dr. Abdul Rahman Al Ansari

د. إِبْرَاهِيم مُحَمَّد الْعَرِينِيّ

Dr. Ibrahim Muhammad Al-Arini

Doi: 10.21608/mdad.2024.339797

استلام البحث ١٨/ ١١ /٢٠٢٣

قبول النشر ١٥/ ١٢ /٢٠٢٣

الأنصاري، عبد الرحمن والعريني، إبراهيم محمد (٢٠٢٤). أَثَرُ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينِ الدَّلَالَةِ لَدَى مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٤)، ٣١-٧٠.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أَثَرُ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينِ الدَّلَالَةِ لَدَى مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

المستخلص:

إن التناص آلية إبداعية قد وظفها مفسرو القرآن للكشف عن دلالاته ومعانيه التي لا تكاد تظهر إلا بإعمال التناص بين آي القرآن بأنماطه التي من أهمها التَّنَاصُّ التَطَابُقِيُّ, وَالتَشَابُهِيُّ, والتَّقَابُلِيُّ, والتَّكَامُلِيُّ, والتَّفَاعُلِيُّ الخَفِيّ. قَدْ تَأَلَّفَ الْبَحْثُ مِنْ مَبْحَثَيْنِ وَاقِعَيْنِ بَيْنَ تَمْهِيدٍ وَمُقَدِّمَةٍ وَخَاتِمَةٍ وَثَبَتٍ بِأَهَمِّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ. وَلَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَنْسُوقًا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

١. **الْمُقَدِّمَةُ**: تَنَاوَلَتْ أَهَمِّيَّةَ الْمَوْضُوعِ, وَأَسْبَابَ اخْتِيَارِهِ، وَخُطَّتَهُ، وَأَهْدَافَهُ الْمَرْجُوَّةَ، وَمَنْهَجَهُ، وَالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةَ عَلَيْهِ- إِنْ وُجِدَتْ.
٢. **التَّمْهِيدُ:** { تَطْبِيقَاتُ التَّنَاصِّ الْقُرْآنِيِّ بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْصِيرِ }.
٣. **الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ**: { إِشْكَالِيَّةُ التَّنَاصِّ: مَفْهُومُهُ, وَصُوَرُهُ }.
٤. **الْمَبْحَثُ الثَّانِي**: { أَنْسَاقُ التَّنَاصِّ الْقُرْآنِيِّ وأَنْمَاطُهُ }.
٥. **الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ**: { دَوْرُ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينُ الْمَعْنَى عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ }.
٦. **الْخَاتِمَةُ:** خُتِمَ الْبَحْثُ بِذِكْرِ أَهَمِّ النَّتَائِجِ وَالثِّمَارِ مِنْ خِلالِ مَبَاحِثِهِ, وَالتَّوْصِيَاتِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا.

الكلمات المِفتاحية: [التناص- المفسرون- المعنى- المعربون- أنماط]

Abstract:

Intertextuality is a creative mechanism that the interpreters of the Qur'an have employed to reveal its connotations and meanings, which hardly appear except by implementing intertextuality between verses of the Qur'an in its patterns, the most important of which are identical, analogous, contrasting, integrative, and hidden interactive intertextuality. The research consisted of two sections, a preface, an introduction, a conclusion, and a conclusion with the most important sources and references. All of this was organized as follows:

1- Introduction: It discussed the importance of the topic, the

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

reasons for choosing it, its plan, its desired goals, its approach, and previous studies on Yes - if it exists.

2- Introduction: {Applications of Qur'anic intertextuality between exaltation and negligence}.
3- The first topic: {The problem of intertextuality: its concept and forms}.
4- The second topic: {Systems and patterns of Quranic intertextuality}.
5- The third topic: {The role of intertextuality in enabling meaning according to interpreters}.
6- Conclusion: Conclude the research by mentioning the most important results and fruits through its research, and the recommendations it reached

Keywords: intertextuality - interpreters - meaning - interpreters – patterns

. . .

الْمُقَدِّمَةُ:

لا جرم أن القرآن الكريم " هو أبلغ نصوص العربية, بل هو معجزة المعجزات, ومفخرة العرب واللغة العربية"(١), قد جعله الله المعجزة الخالدة لنبيِّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- متحدِّيًا به قوما صنعتهم الأولى هي الكلام, وبضاعتهم فيه رائجة غير مزجاة, وقد أراد الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!- أن يكون كتابه مشفوعا بسائر عناصر التأثير في قلب السامع وعقله؛ ومن ثَمَّ فإنه قد احتوى معجزاتٍ كثيرة لا يُمكن للعقول أن تحصرها أو تحصيَها؛ بيد أن الله – تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!– يُبدي لكل عصر شيئًا منها, ومن ذلك الإعجاز القرآني أننا نجد بين آي القرآن ضروبا من التعالق وطرائق من التعانق لا تتأتَّى لأي نص بشري, حتى أننا نجد بعضه يفسر بعضا, وهو ما يُسَمَّى في الدراسات الحديثة **بالتَّنَاصِّ** الذي هو من أهَمِّ عوامل التأثير, وأقوى وسائله.

قد يتردد المسلم إزاء تطبيق بعض المفاهيم والنظريات الحديثة على النص القرآني الفذِّ؛ لما يحمله من القداسة والنفاسة والكمال؛ إلا أن الباحث المسلم يستشعر- مع هذا

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن-ج٢/ ص٣٠٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التهيب والتردد– واجبَ التعبد لله باستنباط وجوه جديدة من إعجاز هذا الكتاب العزيز, والسير على منهاج سلفنا من العلماء الذين أقاموا النص القرآني محورًا حاكما لِمَا استجدَّ من دراساتهم وتطبيقاتهم ونظرياتهم.

قد بات معلوما من العلم بالضرورة أن [**التناصَّ**] معيارٌ مشتركٌ بين العلوم كلِّها, فهو أحد معايير نظرية نحو النَّص السبعة, وهو وسيلة من وسائل التحليل الأسلوبي في الدراسات البلاغية واللغوية, فهو بمفهومه الأرحب استدعاءُ المتكلمِ – شاعرا كان أو ناثرا أو ساردا – نصًّا سابقا من كلام غيره؛ لِيُضَمِّنَهُ في كلامه هو؛ من أجل أغراض دلالية واسعة المدى.

من الأهمية بمكانٍ أنْ أبيّنَ أنَّ [**التناصَّ**] ليس مجردَ تحسينِ نصٍّ لاحقٍ باجترار نصٍّ سابق, وإنما هو آلِيَّةٌ إبداعيةٌ لتوليد الثقافة, وتطور الفكر, وتجديد الأدب, وأصالة المعرفة, وإبداع العلوم, ولقد استثمر المفسرون وجوده في القرآن أيما استثمار في إيضاح الدلالة, واستبيان الفروق بين مواضع التناص في النظم القرآني الحكيم.

لا يُنكِرَنَّ وقوعَ التناصِّ في النظم القرآني الحكيم إلَّا كلُّ دَعِيٍّ في العلم أو كلُّ مُتَسَوِّرٍ محرابَ العلماء الأثباتِ النَّحَارِير وهو ليس لذلك بِكُفْءٍ؛ فقد تناصَّ القرآنُ الكريم مع كلام الملائكة, وتناصَّ مع كلام الإنس والجن, وتناصَّ مع كلام المؤمنين الأبرار وكلام الكافرين الفجار, وتناصَّ مع كلام أهل الجنة وكلام أصحاب النار, وتناصَّ مع كلام الطيور والحشرات وكلام الأرضينَ والسماواتِ .. إلخ.

إذا كان الشاعر يتناصُّ مع شاعرٍ آخرَ؛ بأن يُضَمِّنَ شعرَه بيتًا أو أبياتا لشاعر آخرَ من ذات البحر وعين القافية, وإذا كان الناثر يتناصُّ مع ناثر آخرَ بأن يُضَمِّنَ نصَّه نصَّ ناثرٍ آخرَ, وإذا كان الساردُ يُضَمِّنَ سردَه نصَّ ساردٍ آخرَ, فإن النظمَ القرآنيَّ الحكيم ينماز عن كل أولئك بفريدة خاصة به, ألا وهي أنَّ **النظم القرآني الحكيم يتناصُّ في كثيرٍ من المواضع مع ذاته هو**؛ بأن يأتي في سورةٍ بآيةٍ قد وردتْ بذاتها وكلماتها وحروفها في سورة أخرى, أو مع اختلاف يسيرٍ في الأحرف أو في بعض كلماتها, **وَهَذَا النَّوْعُ هو ما يُعْنَى به بحثي هذا**.

من أجل ما قد سلف فإنه جدير بالذكر أن أَلْفِتَ إلى أن **الهدف من بحثي** هذا هو بيانُ أنَّ التناصَّ لا يُقصد به تفسيرُ القرآن بالقرآن؛ أيْ أنْ تُفَسِّرَ آيةٌ وردتْ في سورةٍ ما معنى آيةٍ أخرى وردتْ في سورة غيرِها أو قد وردتْ في السورة عينِها, ولا يُقصدُ به – كذلك- التفسيرُ الموضوعيُّ للقرآن الكريم- وإن كان التناصُّ جزءًا من ذلك التفسير

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الموضوعي أو منسوقا فيه بوجهٍ من الوجوه- وإنما أقصد به ما قد سلف, وهو مجيءُ آيةٍ في سورةٍ ما, فتناصَّ النظمُ الحكيمُ مع تلكم الآية؛ فجِيءَ بها عينِها أو باختلاف يسير في السورة ذاتها أو في سورة أخرى, وبيان مدلولات ذلك التناصّ, وأثرِهِ في تِبيان المعنى وتمكينِه, ومدى قدرة مفسري القرآن التأويليَّة في استنباط تلكم الدلالات والْعِبَر, من خلال السياق أو من خلال تناسُبِ الآياتِ والسُّوَرِ.

أَسْبَابُ اخْتِيَارِ الْمَوْضوعِ:

إنَّ اخْتِيَارِي مَوْضُوعَ **[التَّنَاصّ]** لَدَى مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَمْ يَكُنِ اخْتِيَارًا اعْتِبَاطِيًّا أَوْ عَشْوَائِيًّا، إِنَّمَا انْطَلَقَ مِنْ دَعَائِمَ وَرَكَائِزَ أَبْرَزُهَا:

أَوَّلًا: الردُّ عَلَى مُنْكِرِي وُقُوعِ التَّنَاصّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ثَانِيًا: بَيَانُ أَثَرِ التَّنَاصّ فِي بَيَانِ الْمَعْنَى وَتَرْسِيخِهِ لَدَى الْمُفَسِّرِينَ.

أَهَمِّيَةُ الْبَحْثِ:

تكمن أَهَمِّيَةُ هَذَا الْبَحْثِ فِي أُمُورٍ أَهَمُّهَا مَا هُوَ آتٍ:

أَوَّلًا: اتِّصَالُهُ بِالْوَحْيِ الْأَوَّلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ثَانِيًا: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ عَبْقَرِيَّةِ مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ من خلال تَوْظِيفِهِمْ **مِعْيَارَ التَّنَاصّ** فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ, وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ.

ثَالِثًا: الْوُقُوفُ عَلَى النَّظَرِيَّاتِ اللِّسَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ, وإِبْرَازُ مَفَاهِيمِهَا مِنْ أَجْوَافِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ.

هَدَفُ الْبَحْثِ:

يهدف البحث إلى بيان مدى فاعلية التناص في تمكين الدلالة لدى المفسرين, ومقدرته على إظهار وجوهٍ دلالية من الإعجاز القرآني عن وعيٍ واقتدار, لا عن عِيٍّ وافْتِقَارٍ, لا تتبدَّى تلك الوجوه الدلالية إلا بتوظيف تلكم الآلية المعاصرة بتضافر عناصرَ أخرى من أجل إيضاح المعنى وتَمَكُّنِهِ لدى مفسري القرآن الكريم ومعربيه.

مَنْهَجُ الْبَحْثِ:

يعتمد البحثُ منهجَ الاستقراءِ شِبْهِ التَّامّ, ثم الانتقاء منه بما يكفي لتبيان الفكرة, وتحليلها, وإيضاحها, وتوطيدها, وإِبْدَاءِ مَقْدِرَةِ مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ على استثمار آلِيَّةِ التناصّ في إيضاح المعاني وتمكينها؛ لنخرج بنتائجَ يُمْكِنُ الِاتِّكَاءُ عَلَيْهَا, وَالْحُكْمُ مِنْ خِلَالِهَا أما الترجيح فلست بِمُرَجِّحٍ فيما ذهبتُ إليه في هذا البحث إلا ما يقوّيه المقام,

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ويُوافقه المعنى العربيَّ, والإعرابيَّ, والبيانيَّ, وَالتَّفْسِيرِيُّ.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

أمَّا عن الدراسات السابقة فقد دارتْ دراساتٌ كثيرة جِدًّا حول التناص؛ لكونه أحدَ معايير نظرية نَحْوِ النَّصِّ اللُّغَوِيَّةِ, ووسيلةً للتحليل البلاغي والأسلوبي, بيد أنه - في مَبْلَغِ علمي- لا تُوجد دراسةٌ خاصَّةٌ ببيان توظيف مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تلك الآليةَ الإبداعيةَ في بيان المعنى وتمكينه, وترسيخ الدَّلَالَةِ وتثبيتِهَا.

بِنَاءُ الْبَحْثِ وَهَيْكَلُهُ:

قَدْ تَأَلَّفَ الْبَحْثُ مِنْ مَبْحَثَيْنِ وَاقِعَيْنِ بَيْنَ تَمْهِيدٍ وَمُقَدِّمَةٍ وَخَاتِمَةٍ وَثَبَتِ بِأَهَمِّ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ. وَلَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ مَنْسُوقًا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

١- **الْمُقَدِّمَةُ**: تَنَاوَلَتْ أَهَمِّيَّةَ الْمَوْضُوعِ, وَأَسْبَابَ اخْتِيَارِهِ، وَخُطَّتَهُ، وَأَهْدَافَهُ الْمَرْجُوَّةَ، وَمَنْهَجَهُ، وَالدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةَ عَلَيْهِ- إِنْ وُجِدَتْ.

٢- **التَّمْهِيدُ:** { تَطْبِيقَاتُ التَّنَاصِّ الْقُرْآنِيِّ بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْصِيرِ }.

٣- **الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ**: { إِشْكَالِيَّةُ التَّنَاصِّ: مَفْهُومُهُ, وَصُوَرُهُ }.

٤- **الْمَبْحَثُ الثَّانِي**: { أَنْسَاقُ التَّنَاصِّ الْقُرْآنِيِّ وأَنْمَاطُهُ }.

٥- **الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ**: { دَوْرُ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينُ الْمَعْنَى عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ }.

٦- **الْخَاتِمَةُ:** خُتِمَ الْبَحْثُ بِذِكْرِ أَهَمِّ النَّتَائِجِ وَالثِّمَارِ مِنْ خِلالِ مَبَاحِثِهِ, وَالتَّوْصِيَاتِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا.

رَبِّ يَسِّرْ, وَأَعِنْ, وَاخْتِمْ بِخَيْرٍ يَا كَرِيمُ!

. . .

التَّمْهِيدُ

تَطْبِيقَاتُ التَّنَاصِّ الْقُرْآنِيِّ بَيْنَ التَّنْزِيهِ وَالتَّقْصِيرِ

إن الباحث قد يتردَّدُ إزاء تطبيق بعض المفاهيم والنظريات اللغوية على النص القرآني الخالد؛ لقداسته وتنزيهه عن أي نقص أو عَوار قد يشوب أصل المفهوم أو النظرية أو مفرداتهما؛ مما لا يليق بنصٍّ شأنُه الكمالُ المطلق من جميع الوجوه, بيد أن ذلك الوَجَلَ والتردد يصطحبه استشعارُ الواجب المتعلق بالباحث الذي يحمل همَّ هذا الدين في أن يُقَصِّر بشأن هذا الحقل الدلالي من التعبد لله – جَلَّ جَلَالُهُ- بإظهار وجوه جديدة لإعجاز هذا الكتاب العظيم, وما ذلك بِبِدْعٍ من الأمر؛ إذ إن أسلافنا الربانيين قد جعلوا من

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

النص القرآني المقدس قِبْلَةً لغوية ومحورَ ارتكازٍ حاكمًا لِمَا استجد من دراساتهم, وجعلوه المرجعية ذات الموثوقية والمصداقية العليا لتطبيقاتهم؛ إذ إنهم كانوا يقيمون القاعدة أو يَقْبَلون النظرية بناء على الشاهد القرآني الأوحد.

من أجل ذلك يتريَّث البحث في مسيرته متجنبا الإذعان لسطوة المصطلح ومفهومه في سِيرتِه الأولى وما يتبعها من تفاصيل, مستحضرا بيقين ما ينبغي للنص القرآني من التنزيه عن كل ما يجرُّ إليه شبهةَ تنقص, أو احتمالَ عيبٍ, ومُرَكِّزًا على استخدام المصطلحات التي وظَّفها علماؤنا في وصفهم استعمالاتِ التناص في القرآن, ومراعيا- كذلك- ضرورةَ التخلص من بعض ظلال المصطلح التي قد لا تليق بقداسة القرآن, عاملا على تطويعه لأخذ ما يناسب لغتنا وقرآننا من مفرادات هذا المفهوم, ونبذ ما يتناقض معها, واتخاذه وراءنا ظِهْرِيًّا؛ لعلها تكون حسنة يزيد الله لنا فيها حُسْنًا.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ:

إِشْكَالِيَّةُ التَّنَاصِّ: مَفْهُومُهُ, وَصُوَرُهُ

ثَمَّةُ نقاطٌ مُهِمَّةٌ يجب استجلاؤُها؛ لننطلقَ في طريق لَاحِبَةٍ على هُدًى مِنْ بِنْيَةٍ معرفيَّةٍ بَيِّنَةٍ في هذا البحث الجامع بين الأصالة والمعاصرة, بين التراث التفسيري واللسانيات الحديثة, فمن تلكم النقاط:

أَوَّلًا: التَّنَاصُّ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ: مَفْهُومُهُ, وَصُوَرُهُ

ثَانِيًا: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَالنَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيثَةُ

يُمكن إيضاحُ هاتين النقطتين بإيجاز فيما هو آت.

أَوَّلًا: التَّنَاصُّ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ: مَفْهُومُهُ, وَصُوَرُهُ

إن مادة [**التناصّ**] بصورتها اللفظية لم تذكرْها المعاجمُ اللُّغَوِيَّةُ إلَّا في قولهم:[تَنَاصَّ الْقَوْمُ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ], وباستظهار تلك المعاجمِ يتَّضِحُ أن " المادة لها صلاحيةُ التعامل كمصطلح له جذوره اللُّغَوِيَّةُ, وإنْ لم تتوفرْ له جذورٌ اصطلاحيَّةٌ"[٢]؛ إذ إنَّ ثَمَّةَ مَنْ يرشِّح مصطلحَ التناصِّ, ومنهم مَنْ فضَّلَ التناصِّيَّةَ أوِ النُّصُوصِيَّةَ, ومنهم مَنْ يميل إلى تَدَاخُلِ النُّصُوصِ, بَيْدَ أنه رغم ذلك " يظل أوَّلُها أكثرَها شيوعًا وانتشارًا "[٣]؛ حتى

(٢) التناص عند عبد القاهر الجرجاني- ص٥١.

(٣) السابق- ص٥١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أضحى مصطلحُ [**التَّنَاصّ**] أداةً كَشْفِيَّةً تحليليَّةً قيِّمَةً صالحةً للتعامل مع النصوص جميعِها قديمِها وحديثِها على سواء, وفي دَيدَبَانِهَا وطليعتها النص القرآني الخالد.

لَا جَرَمَ أَنَّ تَدَاخُلَ النُّصُوصِ بِعَامَّةٍ أَمْرٌ مقضِيٌّ, وَوَاقِعٌ حَتْمِيٌّ؛ إذ إنَّه لا يخلو أَيُّ نَصٍّ من اقتباس, أو تضمين، أو تلخيص, فهو تَشَرُّبٌ أو مُحَصِّلَةٌ لمجموعة من النصوص المخزونةِ داخلَ ذهنِ المُبدِعِ منشئِ النصِّ؛ فتتكَامَلُ النصوصُ بلا واسطةٍ, وذلك مناطُ الْإِبْدَاعِ وَالْإِمْتَاعِ وَالنَّقْدِ.

إن التناصَّ - وهو أحد معايير نحو النص السبعة - يُساعد على فَهْمِ النصِّ, ويُسهِمُ - لا محالة – في إيضاحه وتمكينه؛ حيثُ إنَّ مجموعةَ النصوص التي يُذَكِّرُنَا بها هذا النصُّ تَنْطَوِي على مجموعة من الإشارات، أو على طائفة من الشفرات التي تُعينُ على حلِّ رموز هذا النصِّ، وعلى تفسير إشاراته التي يصعب فَهْمُها بِمَعْزِلٍ عن النصوص الأخرى, وسنجد ذلك جليًّا في النماذج من النصوص القرآنية التي يقوم هذا البحث بتحليلها في الجانب التطبيقي منها.

في غيرِ نصوص الوحَيَيْنِ نَلْفَى أَنَّ المُنجَزَ التَّحْرِيرِيَّ لِكُلِّ كاتبٍ ما هو إلا خلاصةٌ لكلِّ ما قد قرأه, أو سَمِعَهُ, وتكدَّسَ في ذاكرته؛ حيث إنَّ كلَّ " كاتبٍ عندما يتعامل مع الكلمة، فهو في حالةٍ دائمةٍ من الكتابة مع أو ضدَّ إنتاجٍ قَدْ سَبَقَهُ، وهنا نجد أصواتَ الآخرين تسكن خطابَه الذي يأخذ طبيعةً متعدِّدَةَ الْقِيَمِ"(٤), مترامية الدَّلَالاتِ. يستوي في ذلك الأداء الشعراءُ المبتدئِون والفحولُ الْمُفْلِقُونَ, وَالْكُتَّابُ البادِئون وَالْكُتَّابُ المتمكِّنُونَ الرَّاسخُونَ.

إنه قد سلف أن أشرتُ في المقدمة إلى أنَّ [التَّنَاصَّ] في النصوص العاديَّةِ ليس مجردَ اجترارٍ لنصٍّ سابقٍ من أجل تحسين نصٍّ لاحقٍ, بيدَ أنَّه آلِيَّةٌ إبداعية لتوليد الثقافة والفكر والفهم؛ إذ إنَّ مُبْدِعَهُ يتطلَّبُ منه أن يكون ذا اتصالٍ وثيقٍ بكل مصادر التراث العربي الضخم؛ بدءًا بالقرآن الكريم, فالأحاديث النبوية, فالأشعار, فالأمثال, فالخطب, فسائر كلام العرب. أما العبءُ وبذل الجهْدِ في التقاط التناص وفهم أبعاده ودلالاته فإنه " يكون أضعافا مضاعفة على كاهل مكتشِفِ التناصِّ, وبخاصةٍ إنْ كان خفِيًّا غيرَ ظاهر؛ فيجب أن يكون موسوعيًّا طُلَعَةً رَحْبَ المدارِكِ"(٥).

---

(٤) قضايا الحداثة عند القاهر الجرجاني- ص ١٤٥.

(٥) أَمْثِلَةُ ابْنِ مَالِكٍ فِي الأَلْفِيَّةِ: دِرَاسَةٌ تَنَاصِّيَّةٌ, د. إِبْرَاهِيم مُحَمَّد الْعَرِينِيّ- ص٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

صُوَرُ التَّنَاصِّ فِي التُّرَاثِ اللُّغَوِيِّ وَالْأَدَبِيِّ:

لقد تناول الأقدمون ألوانًا من التأثير والتأثر بين الشعراء تحت ما أسموه بالسرقات, وفي نطاق تناولهم قد ظهرت مفاهيم تقترب إلى حد كبير إلى مفاهيم التناص كما عرفه النقاد الغربيون، وقد ساق النقد العربي القديم كثرة كاثرة من الأمثلة التي تُظهر بنصوع درجات التأثر، منها ما هو سرقة حقيقية، ومنها ما هو من قبيل الشائع العام المشترك.

قد تناولوا كذلك ما يُعرف بتوارد الخواطر، وقد وصفوا سرقاتٍ بعينها بأنها سرقة حسنة أو سرقة جميلة أو أنها " من دقيق المعاني وطرائف السرقات"[٦]؛ من أجل أن يمنحوها شرعية الرسوخ والبقاء، وقد أدرجوا بعض هذه المصطلحات ضمن مفردات علم البديع, تدليلا على مُكْنَةِ مبدع النص وبراعته واقتداره، وهذا ما هو ثابت إقراره في أحشاء مصنفات التراث البلاغي حين اعتبرت السرقات الشعرية أساليبَ فنيّةً, تم إلحاقها ضمن أبواب البديع في الدراسات البلاغية[٧].

يأتي التناصُّ على أيَّةِ صورةٍ تُذَكِّر بنصٍّ سابقٍ, فيتجسد النص الجديد في صورة تلخيص للنص القديم، أو ترجمة له، أو محاكاة لصوره وتعبيراته ومعانيه، أو تذكر لأحداثه، أو نسخ للفظه ومعناه جميعا, وهو ما يسمى " وقوع الحافر على الحافر، أو توليد الشاعر لمعنًى مقتديا بغيره من الشعراء, والتوليد يتخذ موقعا وسطا بين الاختراع والسرقة؛ فهو ليس اختراعا محضا، ولا سرقة محضة، ولكنه وسط بينهما[٨]، وهو أكثر لطفا, وأبْيَنُ لمهارة المبدع؛ حيث يلتقط المعنى, ويولِّدُ منه معنًى آخرَ، ثم لا يقف عند هذا الحدِّ، بل يزيد معنًى يُكْسِبُ النَّصَّ المُوَلَّدَ رونقا جديدا. ويأتي التناصُّ – أيضًا- على صورة تضمين النصِّ شطرًا أو بيتًا من نصٍّ آخرَ لنفس المبدع أو لغيره[٩]. وقد يأتي عن طريق السلخ, وهو " أن يُؤخَذَ المعنى، ويُستخرج منه ما يشبهه، ولا يكون هو إياه، وهو من أدقِّ السرقات مذهبا, وأحسنها صورة"[١٠].

كذلك قد يأتي التناص على صورة تلميح بما تحمله الكلمة من معنى الإشارة، وليس التصريح المباشر هو صورة من صور التناص التي تعتمد على التذكُّرِ- تذكر القارئ

(٦) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين, للخالديَّان- ج١/ ص٣.
(٧) يُنْظَرُ: عيار الشعر, لابن طباطبا- ص٩٨.
(٨) يُنْظَرُ: العمدة- ج٢/ ص٢٦٣.
(٩) يُنْظَرُ: أشكال التناص الشعري, أحمد مجاهد- ص٤٨٧.
(١٠) يُنْظَرُ: السرقات الأدبية- ص١٨٨ ، ١٨٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قصةً أو مَثَلًا أو شعرًا- مهتديا بإشارات يُصْدِرُها النصُّ الحاضر إلى النص الغائبِ بطريقة غير مباشرة؛ ليستحضر القارئُ - من خلال تِلكَ الإشارةِ التي لا تتعدَّى بضع كلمات- قصةً قد تكتب في صفحات طوال، أو مثَلًا أو بيتَ شعرٍ مشهورا.

قد يأتي التناصُّ على صورة توازٍ، وذلك بعقد النثر؛ أي تحويل الصياغة من المستوى النثري إلى المستوى الشعري، أو بحلِّ الشعر؛ أي تحويل الصياغة من المستوى الشعري إلى المستوى النثري, فيُخرجه من ضوابط الوزن والقافية، وفي كلتا الحالتين يحافظ المبدع على الإطار الدلالي والصياغي، وإن كانت معظم صور التناص تُعَدُّ سرقاتٍ, وإن " أجلَّ السرقاتِ نظمُ النثر, وحَلُّ الشعر"(١١). وقد يأتي التناص على صورة معارضة لنص قديم(١٢).

ذلك, وقد يتشكل التناص من خلال اقتباس شيء من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف, وقد " سماه القدماء تضمينا, والمتأخرون اقتباسا، وسمُّوا ما كان من شعر تضمينًا"(١٣).

يأتي التناص- أيضًا- من خلال احتذاء لأسلوب مبدع آخرَ, والاحتذاء يختص بالأسلوب، فهو أن يعبر مبدعٌ عن معنًى ما بأسلوب- والأسلوب هو الطريقة التي يتميز بها المبدع في التعبير عن المعنى الذي يريده - فيعمد مبدعٌ آخرُ إلي هذا الأسلوب, وينسج على منواله، ويقتفي أثره في طريقة سبك الموضوع ونظمه، فيقال: قد احتذى على مثاله. وينقسم إلى ضربين: الأول يتفق فيه النصان لفظا ونظما، والثاني يتفق فيه النظم فقط.

من صور التناص أنه قد يأتي على شكل محادثة بين اثنين، أو نفيٍ, وفي هذه الصورة يقوم المبدع بقراءة نصٍّ لمبدع آخرَ، ثم يقوم بنفيِ هذا النص، فيكون قد أخذ النص كاملا لكن بصورة منفية، وهذا النفيُ يمكن أن يكون نفيا كليا أو متوازيا أو جزئيا(١٤).

---

(١١) العمدة في محاسن الشعر-ج٢/ص ٢٩٣ .
(١٢) أَشْعَارُ أَصْوَاتِ كِتَابِ "الأَغَانِي" لِلأَصْفَهَانِيِّ- ص١٩٧ { بتصرف يسير}
(١٣) البرهان في علوم القرآن- ج١/ص٤٨٣.
(١٤) يُنْظَرُ: تعريف التناص , وصوره , ودرجاته في: أَشْعَارُ أَصْوَاتِ كِتَابِ الأَغَانِي- ص١٩٦ إلى ٢٠٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إذا كان الاحتذاء يختص بالأسلوب، فإن المحاكاة تختص باللفظ والمعنى، فالمحاكاة هي التقليد, والتقليد قد يكون في اللفظ والمعنى، وقد يكون في المعنى فقط مع تعدد اللفظ، وقد تكون المحاكاة لفظيةً تتناول كلَّ لفظة, وتأتي بما يرادفها.

يأتي التناصُّ – أيضًا- على شكل التَّذَكُّرُ, وهو صورة من الصور الحيوية للتناص؛ حيث إننا عندما نقرأ نصًّا ما, ونتذكَّر نصا آخر، فهذا دليل قاطع على اشتراك النصين في شيء ما، هذا الشيء هو الذي ذكَّرَنا بالنص الثاني، وعندئذ يكون للتذكر دورٌ مُهِمٌّ في إعادة استدعاء المعلومات والوقائع القديمة، بل إعادة بنائها من جديد، **يستدعيها من ذاكرة المدى البعيد إلى ذاكرة المدى القريب**؛ فتعرف ما هو غائب بما هو حاضر.

هذا، وإن المتتبع للبديع العربي يجده زاخرا بمصطلحات تُثري فهمَنَا التناصَّ وصورَهُ[١٥]، إلا أنه " لا ينبغي أن يرسخ هذا القول في الأذهان؛ لئلا نيأس من الترقي إلى درجة الاختراع"[١٦]؛ لأن في زوايا الأفكار خبايا, وفي أبكار الخواطر سبايا.

مما قد سلف يبدو أن التناص قد يكون بصورة ظاهرة جلية لا تخفى على القارئ العادي، وقد يكون على شكل تلميح وإشارات، وقد يكون تناصا خفيا حيث يتمثل فيما هو مشترك بين المبدعين من لغة أو إيقاع أو وزن.

ثَانِيًا: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَالنَّظَرِيَّاتُ الْحَدِيثَةُ

ينقسم كلامُ المُحْدَثين حول الْمُنْجَزِ العلميّ للمفسرين القدامى إلى صنفَيْنِ اثنين: صِنفٌ مُعْتَكِفٌ فيما قد شيَّدَهُ الأقدمون, وأَشَادُوا به، وصِنْفٌ آخرُ آخذٌ بِمِعْوَلِهِ في تقويض ما مضتْ عليه القرون وهَدْمِهِ وَتَحْطِيمِهِ، ساخرا من المتشبثين بأهدابه في تشبيهه القديمَ " بمارِدٍ عملاق يقف على ساقَيْنِ من حَطَبٍ، يُوشك أن يتهاوى من أول لمسة"[١٧]، واصفا المُقَلِّدين بالجمود، واسِمًا المتمسكين والمجدِّدِين بالقصور على سواء؛ **إذ إن محاولات التجديد في ميدان التفسير لم تقدِّمْ - في رأيه- سوى بضعة مصطلحات أو تعديلات**, وكأن يدَ المفسرين مغلولةٌ إلى أعناقهِمْ عن أن تندسَّ باقتدار إلى النصِّ القرآنيّ من أجل تحليله والوقوف على غزير دلالاته على الوجه الأَوْفَقِ والأنسبِ والأوجهِ والأقربِ إلى مُراد مُنْزِلِهِ- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!.

---

(١٥) يُنْظَرُ: الوسيلة الأدبية للعلوم العربية- من ص ٨٤ : ١٤٧ [بتصرف].
(١٦) الْمَثَلُ السَّائِرُ- ج١/ص٣٣٥.
(١٧) المنهج الصوتي للبنية العربية, أ.د. عبد الصبور شاهين- ص٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إن في كلتا الحالتين السالفتين ضرًّا كبيرًا وشرًّا مستطيرًا, بَيْدَ أَنَّ هُنَالِكَ حَالَةً أُخْرَى بِهَا يَنْجَبِرُ الْجَنَاحُ الْكَسِيرُ، أَلَا وَهِيَ " أَنْ نَعْمِدَ إِلَى مَا أَشَادَهُ الْأَقْدَمُونَ؛ فَنُهَذِّبَهُ، وَنَزِيدَهُ، لَا أَنْ نُبِيدَهُ؛ فَإِنْ غَمْطَ فَضْلِهِمْ, وَجَحْدَ مَزَايَاهُمْ لَيْسَ مَحْمُودًا لِغَدِنَا وَحَاضِرِنَا, بِهَذَا تَتَحَقَّقُ لَدَيْنَا الْأَصَالَةُ وَاسْتِقْلَالُ التَّقْدِيرِ؛ اسْتِقْلَالُ الْمُحْتَسِبِينَ، لَا تَبَعِيَّةُ الْمُكْتَسِبِينَ"(١٨).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي:

أَنْسَاقُ التَّنَاصِّ الْقُرْآنِيِّ وَغَايَاتُهُ

إن التناص بين آي القرآن الكريم ضربٌ فذٌّ من ضروب التناص الداخلي, ومعيارٌ راصدٌ لأنساق من العلائق ذات الأبعاد الدلالية الكلية التي تشكل خيوطا ناظمة لعدد وفير من الآيات في زُمَرٍ متنوعة الوظائف والدلالات.

إن الذي يحيا مع القرآن ويعايشه عن كثبٍ يجد أنماطًا جامعة لصور متعددة من التناص القرآني بكل مستوياته, تتجلى هذه الأنماط في صور من العلاقات, قد رصد المفسرون واللغويين أغلبَها دون أن يجعلوها منسوقة ضمن تصنيف نوعي كلي؛ مع ما اتسمت به جهودهم الحثيثة الواصبة- لسبر وجوه إعجازه, وكمال إحكام نظمه, وتفوقه من كل وجه- من نظرة تأملية عميقة, ابتداءً من إشاراتهم لبعض هذه الأنواع في كتب التفسير والإعجاز وعلوم القرآن, وصولا إلى إفرادها في مؤلفات مستقلة, مثل كتب متشابه القرآن, والأشباه والنظائر, ووجوه القرآن ومناسباته.

من أهم الأنماط التي جاء عليها التناص بين آي القرآن التَّنَاصُّ التَطَابُقِيُّ, وَالتَشَابُهِيُّ, والتَّقَابُلِيُّ, والتَّكَامُلِيُّ, والتَّفَاعُلِيُ الخَفِيّ, وبيان ذلك فيما هو آت:

النَّمَطُ الْأَوَّلُ: التَّنَاصُّ التَطَابُقِيُّ

هو العلاقة بين ما جاء من الآيات أو أبعاضها متطابقا تطابقا كليا في اللفظ, وترتيب الورود على سبيل التكرار غير المتتابع, كأن كل آية تقتبس من صاحبتها, أو تضمن بعض أجزائها نصا في نظيرتها, وربما كانت إحداهما تكرارا كليا للأخرى, ويرى الألوسي أن هذا " التكرار اللفظي والمعنوي لا يخلو عن فائدة لا تحصل من غير تكرار, كبيان اتساع العبارة, وإظهار البلاغة, وزيادة التأكيد والمبالغة, إلى غير ذلك مما

(١٨) أَمْثِلَةُ ابْنِ مَالِكٍ فِي الأَلْفِيَّةِ: دِرَاسَةٌ تَنَاصِّيَّةٌ, د. إِبْرَاهِيم مُحَمَّد الْعَرِينِيّ- ص٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قد أمعن المفسرون في تحقيقه وبيانه"[١٩].

ويدفع الألوسي شبهة التكرار دونما فائدة أو طائل " وأما ما يُتَوَهَّمُ فيه أنه من قبيل إيضاح الواضحات فليس يخلو عن درء احتمال ورفع خيال .. بل في ذلك غير هذا أسرارٌ ستأتيكَ بعون بَارِيكَ"[٢٠].

من أبرز صور التناص التطابقي التناص بين مطالع السور, والتناص بين المقاطع المتكررة, والتناص بين المقاطع دون تكرار, والتطابق في الفواصل.

١-التناص بين مطالع السور

مجموع الفواتح بدون تكرار هو أربع عشرة فاتحة، وتتكون من أربعة عشر حرفًا من الأحرف الهجائية, ويُعَدُّ الاستفتاح بالحروف المقطعة في أوائل السور شكلا جديدا في الاستخدام، لا يعرفه العرب في لغتهم، ولا يألفونه، وفي تفسير تلك الصورة قولان للعلماء " أحدهما: أن هذا علمٌ مستورٌ وسر محجوبٌ استأثر الله به. والثاني: أن المراد منها معلومٌ, وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهًا, فمنها البعيد, ومنها القريب"[٢١].

والثابت بشأن هذه الحروف الفواتح في موضوعنا أنها بلغت من التناسب والتناسق ما يجعلها موضع إعجاز، وأنَّ أوجه الإعجاز فيها متعددة, ساق بعضا منها الزركشي[٢٢]:

- مناسبة الحرف للسورة لفظيا.
- مناسبة الحرف للمعنى في السورة.
- العتبات النصية: قد تسمى بحرف المطلع, وهذا النوع من العلاقة بين اسم السورة أو مطلعها وأجزائها يطلق عليه [العتبات النصية], وهي " حزمة العلاقات التي تكون بين العنوان وما يمثله من إيحاء وتكثيف والمادة الواقعة تحته"[٢٣].

٢- التناص بين المقاطع المتكررة

في القرآن مواطن كثيرة يتجلى فيها التناص التطابقي؛ حيث يتكرر المقطع أو الآية تكرار كليا؛ وهذا التكرار لتأكيد المعنى, لكن أحيانًا " يُراد به شيءٌ غير التأكيد،

---

(١٩) روح المعاني, للألوسي-ج١/ ص٣٠.
(٢٠) السابق-ج١/ ص٣٠.
(٢١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي- ج١/ ص١٧٣.
(٢٢) السابق- ج١/ ص١٧٤.
(٢٣) التفاعل النصي, نهلة الأحمد- ص٣٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وإنما وقع فيه الفصل بين المكررين, فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده .. وعُدَّ منه قوله- تعالى!:﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾, فإنها وإن تكررت نيفًا وثلاثين مرة, فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولو كان الجميع عائدًا إلى شيء واحد لَمَا زاد على ثلاثة؛ لأن التأكيد لا يزيد عليها"(٢٤).

٣- التناص بين المقاطع دون تكرار

يقع التناص بين ما جاء من الآيات متطابقا في صدورها مع اختلافٍ لَحِقَ بعجزها, ويغلب على هذا الصنف من التناص أن يجيء لتعداد صور المعنى الذي جاء في صدور الآي وطرائق حصوله, أو بين أجزاء من الآيات متطابقة, ومن ذلك التناصُّ في قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١] مع قوله – تعالى!:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥] بينما تطابقت كليا مع قوله– تعالى!:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر: ٣٨].

إن هذه الآيات التي فيها أمر مباشر **بالحمد** قد جاءت كلها إثر ما قصه الله– سبحانه, وتعالى!- على رسوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- من قصص الأنبياء المذكورين, وأخبارهم الناطقة, بكمال قدرته – تعالى!- وعِظَمِ شأنه – سبحانه!- وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة .. وبما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية .. وأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس، أمره – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!- أن يحمده بأتمِّ وجهٍ على تلك النعم, وإلى إلزامهم وإلجائهم إلى " الاعتراف بما يوجب بطلانَ ما هم عليه من إشراك غيره – تعالى!- به في العبادة التي لا يستحقها غير الخالق والمنعم الحقيقي"(٢٥).

كما جاء التطابق بين المقطع في قوله – تعالى!:﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٢٨], ونظيرتها في نفس السورة ذاتها:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران: ٣٠],

(٢٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي- ج٣/ ص١٨١.
(٢٥) روح المعاني، للألوسي- ج١٣/ ص٩٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والآيتان قد جاءتا في سياق التحذير من عقوبة الله؛ مرة بالتذكير بمآل الأمور وعودها انتهاء إليه, ومرة بالتحذير في سياق الامتنان؛ لأن " تحذيره وتنبيهه على النجاة رأفةٌ منه بعباده"(٢٦), ولطفا، وتحنُّنًا عليهم وعطفًا.

٤- التطابق في الفواصل:

قد تتناص الفواصل القرآنية تطابقيا دون اختلاف في أكثر من آية من السورة، وفي سور متعددة، ومن ذلك أن ترد ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١٧٣] مبدوءة بحرف التوكيد [إنَّ], وبأسلوب التوكيد في ثلاث عشرة مرة، منها ثلاث بالبقرة, وثلاث بالتوبة، ومرتين بالمائدة، ومرة واحدة بالأنفال والنور والحجرات والممتحَنة والمزمل. كما وردت ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ٢١٨] ثلاث عشرة مرة في فواصل الآي؛ مرتين في آل عمران، ومرتين في التوبة، ثم مرة واحدة في البقرة والنساء والمائدة والأنفال والنور الحجرات والحديد والممتحَنة والتحريم. وخُتِمَتْ ثلاثَ عشرةَ آية من كتاب الله بلفظ ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/٢٩].

يُعَدُّ من التناص من هذا الفرع ما جاء متكررا في سياقات عديدة متباينة؛ حيث ترد بعض الآيات متكررة في سور مختلفة، فتبدو كأنها لون من التضمين، فهي تتكرر ذاتها داخل السياق دون زيادة أو نقصان، ومنه قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة/٥٧], فقد ختم به سبعُ آيات من الكتاب العزيز(٢٧).

النَّمَطُ الثَّانِي: التَّنَاصُّ التَشَابُهِيُّ

هو التناص الحاصل من العلاقة بين الآيات أو أبعاضها التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة في نظمها, ولكن وقع في بعضها زيادة أو حذف, أو تقديم أو تأخير, أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك؛ مما من شأنه أن يُوجِدَ اختلافا بين الآيتين أو الآيات المتقاربة. من صور هذا النمط التشابهيّ التقديم والتأخير, وما يشتبه بالزيادة والحذف, والتشابه مع اختلاف التعريف والتنكير, والتشابه بين الإظهار والإضمار.

النَّمَطُ الثَّالِثُ: التَّنَاصُّ التَكَامُلِيُّ

هذا التناص التكامليُّ يمثل العلاقة الحاصلة بين الآيات والمقاطع التي ينتظمها موضوع جامع, وتتكامل مع بعضها عن طريق جمع أجزائها؛ لتنتج الصورة الكلية, أو

---

(٢٦) المحرر الوجيز, لابن عطية - ج١/ ص٤٦١.

(٢٧) المواضع هي:[البقرة:٥٧/ الأعراف:١٦٠/ التوبة: ٧٠/ النحل: ٣٣, ١١٨/ العنكبوت:٤٠/ الروم: ٩].

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

القصة الكاملة, أو الموضوع المترابط الأجزاء, أو المتكامل الأنواع في القرآن. فما أجمله القرآن في موضع قد فصَّله في موضع آخرَ، وما قصَّه الله في موضع أتى بجانب ورؤية مكمِّلة لقصته في موضع آخرَ؛ حتى تكتمل الرؤية, وتصلَ العظة والعبرة المرجوة، وتتضحَ في الذهن الصورة الكاملة لكل موضوع من موضوعات القرآن.

من صور هذا التناص التكاملي التكامل القصصي- وأشهر قصة هي قصة كليم الله موسى, وقصة عاد وثمود- والتكامل في التدرج التشريعي- كالتدرج في تحريم الخمر وتشريع القتال- والتكامل أطوار الخلق, والتكامل في الوصف- كما وصف الجنة والنار- والتكامل في درجات تحدي المنكرين الجاحدين.

النَّمَطُ الرَّابِعُ: التَّنَاصُّ التَقَابُلِيُّ

هو ما جاء من آي القرآن أو أبعاضها حاملا لمعان متقابلة أو متضادة, وتنتج عند تقابلها صورة مشتركة أعمق في الدلالة. ويؤدي هذا النمط التناصيُّ درجة سامقة من رسوخ المعاني ووضوح الأفكار, حِين تُوضَعُ في مقابل نظيرتها بما لا يمكن تحقيقُه بإفرادها بالذكر.

قد يكون هذا النمط التناصيُّ بين آيتين أو مقطعين متباعدين, وقد يكون بين وحدتين نَصِّيَّتَيْنِ متتاليتين. والتقابل القرآني يقع بين معانيه كما يقع بين ألفاظه, وهو بين الألفاظ يزيدها إثارة وإمتاعا, وبين المعاني يزيدها إيضاحا وتبيانا(٢٨).

قد فرق البلاغيون والمفسرون بين المقابلة والطباق، فعدُّوا الطباق لونا من المقابلة, وفرقوا بينهما على وجهين " الأَوَّلُ: أَنَّ الطِّبَاقَ لا يكون إلا بَيْنَ الضِّدَّيْنِ غَالِبًا, وَالْمُقَابَلَةَ تَكُونُ لأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا. وَالثَّانِي: لا يَكُونُ الطِّبَاقُ إلا بِالْأَضْدَادِ, وَالْمُقَابَلَةُ بِالْأَضْدَادِ وَغَيْرِهَا؛ وَلِهَذَا جَعَلَ ابْنُ الأثِيرِ الطِّبَاقَ أَحَدَ أَنْوَاعِ الْمُقَابَلَةِ" (٢٩).

من التقابل في الآيتين المتتاليتيْنِ قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى {٣١} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القِيامة/٣١, ٣٢]. وثمَّةَ مقابلة الشيء بمثله, وهو على ضربين:

التقابل اللفظي: وهو أن يرد مقابل اللفظ دون المعنى, ومنه قوله- تعالى!:﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل/٥٠]. وهو ما يطلق عليه البلاغيون

(٢٨) أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم, عماري عز الدين- ص١٠٨.
(٢٩) البرهان في علوم القرآن، للزركشي- ج٣/ ص٤٥٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المشاكلة، فمن المؤكد أن هؤلاء يمكرون, بيد أن الله – جَلَّ فِي عُلَاهُ!- لا يكون هذا فعلَه، فالمراد " فمكرت لهم بكيدي المتين؛ حتى خلَّصْتُكَ منهم"(٣٠), فَالْمَكْرُ " مِنَ اللَّهِ هُوَ جَزَاؤُهُمْ بِالْعَذَابِ عَلَى مَكْرِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ "(٣١)؛ فالمكر الأول ليس هو المكرَ الثانيَ عينَهُ، فاختلاف المعنى المراد من اللفظين هو لون من التقابل اللفظي الذي هو لون من التناص التقابلي.

تقابل المعنى: يرد في المعنى دون اللفظ, ومنه قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ/٥٠], فالتقابل هنا في المعنى؛ لأنه " لو كان التقابل هنا من جهة اللفظ لكان التقدير: وإن اهتديت, فإنما اهتديت لها"(٣٢).

لا جرم أن للتقابل بِشِقَّيْهِ تأثيرًا عجيبا؛ إذ إنه يَبْهَرُ اللُّبَّ, ويسبي الوجدان؛ فإن " للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها والمتشابهات والمتضادات, تحريكًا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام"(٣٣).

إن في القرآن الكريم سورا كاملة **مبنية على التقابل**؛ أي أن بناءها العام قائم على التقابل؛ من تلكم السور: الزمر, والذاريات, والطور, والرحمن, والواقعة, والحاقة, والقيامة, والإنسان, والغاشية, والشمس, والليل, والكافرون. ومن أكثر السور تمكنا في التقابل سورة الواقعة؛ التي تتشكل في بنائها العام من مشهدين أساسيْنِ متقابلين, يمثلان أهل النعيم وأحوالهم, في مقابل أهل الجحيم وأهوالهم, وفي المشهدين تتقابل كثير من الصور الجزئية. فالتقابل لا يكاد تخلو منه سورة.

ولا غرو أن الألفاظ المتقابلة في القرآن متساوية في عدد مرات ورودها؛ فنجد أن كلمة [الدنيا] قد تكررت في القرآن بقدر تكرار لفظة [الآخرة]؛ فقد تكرر كل منهما مائة وخمسَ عشْرَةَ مرة. وأن لفظة [الملائكة] قد تكررت بقدر تكرار لفظة [الشياطين]؛ فقد تكرر كل منهما ثماني وثمانين مرة. وأن الموت ومشتقاته تكرر بقدر تكرار لفظة [الحياة]؛ إذ فقد تكرر كل منهما مائة وخمس وأربعين مرة. وأن [الصيف, والحر] قد تكررا بقدر تكرار لفظ [الشتاء, والبرد]؛ فقد تكرر كل منهما خمس مرات. وأن لفظ [

(٣٠) تفسير الطبري- ج٩/ ص٢٣٠.
(٣١) تفسير القرطبي- ج٧/ ص٣٩٧.
(٣٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن- ج٣/ ص٤٦١- ٤٦٢.
(٣٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ٤٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

السيئات] ومشتقاتها قد تكرر بقدر تكرار لفظ [الصالحات] ومشتقاتها؛ فقد تكرر كل منهما مائة وسبعا وستين مرة. وأن لفظ [قالوا] قد تكرر ثلاثمائة واثنتين وثلاثين مرة؛ فتساوى مع تكرار لفظ [قل] الذي هو أمر من الله إلى خلقه(٣٤)؛ إنصافا للمخالف, وإثباتا لنص رأيِهِ على ما فيه من فساد.

النَّمَطُ الْخَامِسُ: التَّنَاصُّ التَّفَاعُلِيُ الخَفِيّ

هو التناص الحاصل من علاقة غير مباشرة بين الآيات أو المقاطع التي لا يظهر بينها علاقة مباشرة ابتداء, أو كان ظاهرها التناقض, بينما تربط بينها في الحقيقة علاقاتٌ عميقة, لا تُدرك إلا بالتأمل والتدقيق وإمعان النظر وإنعامه؛ إذ إنه في معظم أحواله خفي غير بادٍ؛ ولا يظهر ألبتةَ من أول وهلة, بل ربما بدا تناقضا أو اضطرابا, فلا يهتدي لجملة حقائقه إلا الراسخون من النُظَّار والمجتهدين من أولي الألباب, الذين يتمتعون بعمق النظر, ودقة التأمل, وسعة الاطلاع, وشمولية النظرة. فإننا وإن فهمنا بعض أمثلته إلا أننا ربما لن نتمكن من إعادة تطبيقها على مسألة لم تُنْظَر بعد.

من ذلك قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت/٤٣], قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت/٤٩], وقول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاءُ/٨٢].

هذا النمط التفاعلي الخفي يمثل أسلوبا تناصيا فريدا ربما قلَّ نظيره في الدرس الغربي(٣٥)؛ إذ إنه هنا يختلف عن مجرد مفهوم التداخل النصي بالمعنى الدقيق المتعارف الذي يُقصد به التواجد اللغوي لنص داخل نص آخر. ولكنه يتقاطع مع مفهوم التعالي النصي الذي يتمثل في معرفة كل ما يجعل النص في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص.

مَقَاصِدُ التَّنَاصِّ بَيْنَ آيِ الْقُرْآنِ:

لا ريب أن التناص القرآني لا يمكن أن يأتي هباءً ألبتةَ, بل يأتي لأغراضٍ ومقاصدَ

(٣٤) الإعجاز العددي في القرآن, عبدالرزاق نوفل- ج١/ ص١٥-٢٥.
(٣٥) يُنْظَرُ: مدخل لجامع النص- ص٩٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

دلالية كثيرة, منها:

١- أن يكون في الكلام لبسٌ وخفاء؛ فيأتي التناص ليزيل هذا اللبس.

٢- أن يكون ظاهرُ الآيات مُشكلًا؛ فيأتي التناص ليكشف هذا الإشكال، ويوضحه.

٣- أن يوجد ضمير، ولا يوجد مرجع له؛ فيأتي التناص ليذكرنا بآية أخرى بها العائد.

٤- أن يوجد في الآية إجمال يحتاج إلى تفصيل؛ فيأتي القرآن بآية أخرى أو آيات أخرى تفصِّل ما قد سبق إجماله.

٥- أن يكون هناك قولٌ مُنْكر أو تساؤل, ويحتاج إلى إجابة؛ فيأتي التناص ليذكرنا بآية أخرى هي إجابة عن هذا التساؤل, أو بردٌّ على هذا القول.

إن تلكم الغاياتِ لَتتَّضِحُ بجلاء من خلال إيراد بعض النماذج الدالة في المبحث الآتي.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ:

دَوْرُ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينُ الْمَعْنَى عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ

يحاول البحث هنا تقديمَ تحليلات دلالية لنماذجَ مختارةٍ من الآيات المتناصة بناء على طبيعة العلاقات الجامعة والدلالات الكلية الناتجة عن وجود نوع من التناص بين كل زمرة من الآيات أو المقاطع؛ ليتضح من خلال معالجتِها مقاصدُ التناص وغاياتُه وسُهْمَتُه التفسيريةُ الفائقة؛ من تفسير لشيء غامض, أو تفصيل لمجمل, أو جواب عن سؤال, أو تحديد لمعنًى محتمَلٍ, أو تفسير لمطلق؛ ومن ثم فإن" ارتباط آي القرآن بعضِها ببعضٍ؛ حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني, ومنتظمة المباني- عِلْمٌ عظيم"(٣٦).

من أجل ذلك لا ينبغي تفسير الآية والوقوف على المراد منها بمعزلٍ عن سياقها أو بمعزلٍ عن النص القرآني كله, بل ينبغي معرفة المراد من الآية في ضوء آيات أُخَرَ توضحها, وتزيل غموضها وإبهامَها, أو تفصِّل مجملها, أو تخصِّص عمومها, أو تقيِّد مطلقها, أو تكون إجابة عن سؤال, إلى غير ذلك من وجوه التفسير والتوضيح, وقد عُنِيَ القدماء بالنظرة الشاملة إلى النص القرآني كله عند تفسيرهم الآية, مدركين بوعي منقطع النظير أن القرآن يفسر بعضُه بعضا, وأنَّ محاسن الكلام وبدائعه " أن يرتبط بعضه

(٣٦) الإتقان في علوم القرآن- ج٣/ ص٢٨٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ببعض؛ لئلا يكون منقطعا, **وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم**, وفوائده غزيرة"[٣٧]؛ ومن ثمَّ فإن البحث يجتهد أن يجبر بعضا مِمَّا قَدْ أُهْمِلَ.

النَّمُوذَجُ الْأَوَّلُ:

من عجيب التناص أن يلتقي نسقان من أنماطه في هذا النموذج واحد: التناص التطابقي, والتناص التقابلي, ففي القرآن الكريم عشرون آيةً مطالعها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[٣٨], منها أربع آيات في سورة يونس, وأربع آيات في سورة الحج, وثلاثٌ في سورة النساء, وثلاثٌ في سورة فاطر.

من هذه الآيات العشرين **مطلعان لسورتَيْنِ كريمتين**, هما سورتا النساء والحج, ومنها آية في آخر سورة لقمان, مطالعها الآيات الثلاث!:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾, وثمَّةَ آية رابعة في وسط سورة الحجرات, وهذه المواضع الأربعة هي مدار المعالجة هنا.

إنَّ من بديع التقابلات ومن رائق الموافقات ذلك التناصَّ الْمُدْهِشَ العجيبَ بين مطلعَيْ سورتين مدنيَّتَيْنِ من سور القرآن الكريم:

الآيةُ الأُولَى: قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النِّسَاءُ/١].

الآيةُ الثَّانِيَةُ: قول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ {١} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الْحَجُّ/١ , ٢].

إن من عجيب الموافقات في هذا التناص بين هاتين الآيتين الكريمتين ما يأتي:

١- كِلْتَا السورتين الكريمتين مَدَنِيَّةٌ.

٢- أن سورة النساء هي السورة الرابعة في نصف القرآن الأول، وأنَّ سورة

(٣٧) البرهان في علوم القرآن- ج١/ ص٣٦.

(٣٨) المواضع العشرون:[البقرة:٢١/ النساء:١, ١٧٠, ١٧٤/ الأعراف:١٥٨/ يونس:٢٣, ٥٧, ١٠٤, ١٠٨/ الحج:١, ٥, ٤٩, ٧٣/ النمل:١٦/ لقمان:٣٣/ فاطر:٣, ٥, ١٥/ الحجرات١٣].

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الحج هي الرابعة في نصفه الثاني البادئ من أواخير سورة الكهف.

٣- أن هاتين السورتين هما الوحيدتان اللتان تبدآن بالخطاب الإلهي:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾.

٤- أن كلا الموضعين يبدأ بالأمر الإلهي:﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾.

وأمَّا المقابلات المعنوية والمتضادَّاتُ الدلالية في الآيتين الكريمتين السالفتَيْنِ ففيما هو آت:

١- أن الأمر الإلهي في الموضع الأول من سورة النساء مقرونٌ ببدء الخلق في النشأة الأولى:﴿ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾. أما في الموضع الثاني من سورة الحج فمقرونٌ بمآل الخلق في النشأة الآخرة:﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾.

٢- أن في الموضعين تقابُلا لافتا؛ ففي الأول إشارةٌ إلى وحدة النفس البشرية, ووثاقة القربى, وتواشج الأرحام. أمَّا في الثاني فثَمَّةَ اشتغال بأهوال القيامة والبعث والنشور, هذا الانشغال من شأنه أن تَذْهَلَ الأمُّ المرضعة عن رضيعها؛ لأن " الإنسان يذهل عن ولده لشدته"(٣٩).

وإن أعجبْ فعجَبٌ توظيفُ النظم القرآني الحكيم لِلَفظة [مرضعةٍ], وإيثارها على لفظة [مُرْضِعٍ], رغم أن كلتا اللفظتين مؤنثة؛ وفي ذلك من بديع الدلالات المتوافقة مع تصوير شدة الهول في عرصات القيامة؛ حيث يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وبنيه وصاحبته التي تُؤويه, وتفر– كذلك- الأمُّ من بَنِيها الذين تحنو عليهم حُنُوًّا غير موفور لهم إلا لديها هي وحدها, وبخاصة على الصغير منهم, وبالأخص على الرضيع من هؤلاء الصغار, فإنها- من شدة المشهد وأهوله العِظَامِ– تُلْقِي برضيعها وهو متلبِّسٌ في حالة الرَّضَاعة, يُمارسها, ملتصق بصدرها, ينهل بسَكِينَةٍ وطمأنينة من طعامه وشرابه, فما أشدَّ هذه الحالةَ التحاما وحنانًا ومودة ورحمة وألفة وآصرة ووشيجةً! رغم ذلك الْمَحْضِنِ المفعم بالأحاسيس الصادقة المرهفة فإنها تذهل عنه, وتُلقيه. ولا يدل على تلكم المعاني المفعمة بالحنان إلا لفظة [مرضعةٍ] بتاء الهيئة الدالة على ممارسة الرضاعة بالفعل, وأما لفظة [مرضع] بدون تاء الهيئة فإنها دالة على أن من شأنها الرضاعة بالقوة؛ أي يُمكن أن ترضع, لكن ليس شرطا أنت تكون ممارسة الرضاعة في الحال. ذكر ذلك سيبويهِ بأن " قولهم: مرضعٌ, إذا أراد ذات رضاعٍ, ولم يُجْرِهَا على أرضعت,

(٣٩) الخصائص-ج٣/ ص١٦٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ولا ترضع, فإذا أراد ذلك قال: مرضعةٌ"(٤٠).

٣- أن التذييل في الآية الكريمة الأولى فيه إلحاح على مراقبة الله لأفعال البشر في الحياة الدنيا:﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾. أمَّا التذييل في الآية الكريمة الثانية ففيه تذكيرٌ بعذاب الله وشديدِ عقابه في الدار الآخرة:﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.

هذا, وإن هناك آيتَيْنِ تتناصَّانِ مع الآيتين السالفتين, هما الآيتان الأخيرتان من سورة لقمان في قوله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ{٣٣} إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان/٣٣ , ٣٤].

الآيتان تتوافقان مع آيتَيْ سورة الحج والنساء فيما هو آت:

١- التذكير بضرورة الخوف من اليوم الآخر.

٢- لا تجزي نفس عن نفسا شيئا في ذلك اليوم, وخاصة الوالد وما ولد, وهما من صلة الرحم بمكان, كما تذهل هنالك الأم المرضعة عن وليدها.

أما ما تختلف فيه الآيتان مع آية سورة النساء ففيما هو آت:

١- هنا في سورة لقمان التذكير باليوم الآخر, أما في النساء فالتذكير بأصل النشأة الأولى.

٢- التوصية بالأرحام, فهي مقرونة بتقوى الله في سورة النساء, أما هنا فكل يفر من الآخر, ولا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئا, وبخاصة الوالدُ وولدُه.

أما آية سورة الحجرات فقول الله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذكَرٍ وأُنْثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [سورة الحجرات/ ١٣], وهي دلالةٌ على استوائنا في الأصل, وقد بيَّنَ الله– سبحانه!- أنه جعلنا شعوبا وقبائل؛ لأجل أن يعرف بعضنا بعضا، ويتميز بعضنا عن بعض, لا لأجل أن يفتخر بعضنا على بعض, ويتطاول عليه. والشعوب جمع شعب، وهو الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب, وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة.

(٤٠) كتاب سيبويه-ج٣/ ص٣٨٤.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذا, ولم يُذكَرْ من هذه الست في القرآن إلا ثلاث: الشعوب، والقبائل, كما في الآية السالفة، والفصيلة في قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿وَفَصِيلَتِهِ التي تؤْوِيهِ﴾ [سورة المعارج/١٣], وعجيب أن الآيتين السالفتين تحملان الرقمَ ذاتَه في سورَتَيِ: الحجرات, والمعارج, وهو الرقم [١٣]. والعرب قد " تطلق بعض هذه الست على بعض, كإطلاق البطن على القبيلة"(٤١).

قد تناصَّتْ آية سورة الحجرات مع مطلع سورة النساء تَنَاصًّا دَلَالِيًّا في التذكير بأصل النشأة الأولى, وأننا خُلِقْنَا من نفس واحدة, هي نفسُ آدم- عليه السلامُ!- وخلق الله منه زوجَه حواءَ, ثم تناسل البشر من ذكر وأنثى إلى يوم يبعثون.

أكاد أقرر بيقين أنه إن أردنا أن نضيف جديدا إلى المكتبة التفسيرية فإنه ينبغي أن نتتبع خطى آلية التناص التي بها نجد كنزا ما له نفاد من مدلولات النص القرآني الفذّ الفريد, وهذه الآلية تختلف عن التفسير الموضوعي؛ لأن التناص يكشف وجوها دلالية من التقابل والاختلاف إلى جانب وجوه الاتفاق والائتلاف.

النَّمُوذَجُ الثَّانِي:

يثير الضمير وعَوْدُهُ إشكالاتٍ كثيرةً في فهم النص القرآني, وبدا جليًّا أن من أهم مقاصد التناص وأعلى غاياته أن يُزيل ذلك الإشكال من خلال **التَّنَاصِّ التَشَابُهِيّ** الحاصل من العلاقة بين الآيات أو أبعاضها التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة في نظمها, ولكن وقع في بعضها زيادة أو حذف, أو تقديم أو تأخير, أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك, مما من شأنه أن يُوجِدَ اختلافا بين الآيتين أو الآيات المتقاربة.

من ذلك اختلاف الضمير بين آيتين كريمتين, واستبدالٌ بحرفِ الجرّ اسمًا:

الْأُولَى: قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[الأنعام:١٥١].

الثَّانِيَةُ: قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء:٣١].

معلوم أن الإملاق هو العَوَزُ والفقر، وقد كان الجاهليُّون العرب يقبلون دونما تردُّدٍ

(٤١) أضواء البيان-ج٧/ ص٤١٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أو تـأثُّمٍ علـى وأْدِ بنـاتهم[٤٢], ودفـنهم أحيـاءً؛ لفقرٍ جـاثمٍ علـى كلكلهـم, وعَـوَزٍ مقيم علـى كواهلهم, أو لأنهم يخشون حدوث الفاقة والاحتياج مستقبلا شأن كل من يعدهم الشيطان الفقرَ؛ ومن ثَمَّ فإن الله الرزاق ذا القوة المتين قد نهاهم عن قتل بناتهم في الحالَيْن: حال وجود الفقر بالفعل, فقال:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: لا تقتلوا أولادكم بسبب فقركم الموجود الكائن الحاصل؛ فإن الله متكفل برزقكم ورزق أبنائكم، وقد قدم النظم القرآني الحكيم ضمير الخطاب في﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ على ضمير الغائب في ﴿إِيَّاهُمْ﴾ من أجل ذلك؛ إذ إنهم يُعانون الفقر, ويُعايشون آلامه بالفعل, ومن ثم كان الاهتمام بطمأنتِهم هم أنفسِهِمْ بكفالة أرزاقهم هم أوَّلا, ثم طمأنتهم بكفالة أرزاق أولادهم من بعد ذلك.

أما الآية الثانية:﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ فالنهي فيها وارد على الحالة الثانية أو السبب الثاني؛ فقد " خصَّ النهي عن قتل الأولاد **لحال** خشية الإملاق"[٤٣]؛ إذ كان من العرب من كان يقتل بناتِه دونما جريرة أو ذنب؛ وذلك " لئلا يحتاج إلى النفقة عليهن, وليوفر ما يريد إنفاقه عليهن على نفسه وعلى بيته, وكان ذلك مستفيضا شائعا فيهم, وهي الموءودة التي ذكرها الله"[٤٤], فالنفقة واجبة عليه تُجَاهَهُنَّ,؛ إذ إنه " لولا وجوب النفقة عليه ما قتله خشية الإملاق من النفقة"[٤٥]. فأمرهم الله ألا تقتلوا أولادكم **خشية** أن تفتقروا مستقبلا, أو أن يفتقروا هم من بعدكم، فإن الله يرزقهم بتقديم ضمير الغائب العائد على الأولاد أولا, ويرزقكم بتأخير ضمير المخاطب؛ لأن الفقر ليس بواقع في الحال, وليس مُعَايَشًا, بل هو تخوُّفٌ من حدوثه مستقبلا؛ فلزمت الطمأنة لِمَا يُستقبل وهم الأبناء, فبدأ برزقهم لكونِهم الأهمَّ هنا؛ أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم؛ فهو على الله. فسبحان من أودع تحت كل حرف من حروف كتابه سرًّا وحكمة!.

جدير بالذكر أن التقييد بصفة [خشية إملاق] له فوائد كبيرة وفرائد عظيمة, منها أنه " قد يكون اللفظ لو أُطلق في بعض المواضع لَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أن الصفة خارجةٌ عنه,

(٤٢) مجاز القرآن, لِمَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى- ج١/ ص٣٧٥* معاني القرآن, للنحاس- ج٤/ ص١٤٦.
(٤٣) الفصول في الأصول, للجَصَّاص- ج١/ ص٢٩٥.
(٤٤) أحكام القرآن, للجصاص-ج٥/ ص٢٣.
(٤٥) الحاوي الكبير, الماوردي-ج١١/ ص٤٧٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فتُذكَرُ الصفة لإزالة هذا الإيهام"[٤٦].

لولا التناص بين الآيتين لما علمنا أي الحالين بالضبط يكون النهي عن قتل الأبناء, ولولا التناص لما أدركنا الحكمة من وراء عود الضمير وتقديمه وتأخيره في الموضعين, ولَمَا التقطنا بعضا ممَّا أودعه الله في مطاوي الآيتين الكريمتين من البلاغة والحكمة.

النَّمُوذَجُ الثَّالِثُ:

من مفردات التناص التقابلي تناصٌّ بين الألفاظ والمواقف, ومن ذلك أربع آياتٍ في أواخير سورة الزُّمَر, الآيتان الأولَيان يمثلَّان مجالدة أهل الجحيم, وأما الآيتان الأُخْرَيَان فيمثلان مكافأة أهل النعيم, في تناص تقابلي بلغ الغاية من البلاغة وشَأْوِ البيان:

الْأُولَيَانِ: قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ{٧١} قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَر:٧١, ٧٢].

الْأُخْرَيَانِ: قوله- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {٧٣} وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزُّمَر:٧٣, ٧٤].

تتمثَّل مظاهر التناص التقابلي بين المشهدين فيما يأتي:

١- **السَّوْقُ:** شتان ما بين السَّوْقَيْنِ؛ فبَيْنَ سَوْقِ الفريقين فَرْقٌ بَيِّنٌ؛ إذ إن المراد " بِسَوْقِ أهل النار طردُهم إليها بالهَوَان والشدّةُ, كما يفعل بالأُسَارى والخارجين على السلطان إذا سِيقوا إلى حبس أو قتل"[٤٧]. والمراد بِسَوْقِ " أهل الجنة سوقُ مراكِبِهم؛ لأنه لا يُذْهب بهم إلَّا رَاكِبِينَ, وحثها إسراعا بهم إلى دار الكرامة والرضوان ، كما يفعل بمن يشرف ويكرّم من الوافدين على بعض الملوك"[٤٨]؛

(٤٦) قواطع الأدلة في الأصول, للسمعاني-ج١/ ص٢٣٩.
(٤٧) الكشاف-ج٤/ ص١٥٠.
(٤٨) السابق-ج٤/ ص١٥٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فلا يُكَلَّفُونَ شططَ الوصول إليها, فالتكريم حاصل " في كل كلمة, وفي كل حركة؛ فالجنة تُقَرَّبُ, وَتُزْلَفُ، فلا يُكَلَّفُونَ مَشَقَّةَ السَّيْرِ إِلَيْهَا، بل هي التي تجيء"(٤٩), فما أحلى تعبيرَ سَيِّدٍ:[فلا يُكَلَّفُونَ مَشَقَّةَ السَّيْرِ إِلَيْهَا!].

قد جاء التقابل بين الفريقين في حال دخول النار ودخول الجنة، ومقابلة التقريع في استقبال الكافرين، ومقابلة ذلك بحال المتقين, وكيفية الترحيب بهم, لطفٌ خالصٌ, في مقابله قهرٌ خالصٌ.

٢- **زُمَرًا:** ثمة تقابل لفظي في الموقفين؛ إذ يُراد بـ [زُمَرًا] في حال الكافرين دَعُّهُمْ ودفعُهم وقهرُهم, كما وصفهم الله:﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور:١٣]؛ أي" يدفعون دفعا عنيفًا"(٥٠).أما [زُمَرًا] في حال المتقين فيُراد بها أنهم متفاوتون " حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة"(٥١), وأنهم يُحشرون جماعاتٍ, فهم وفد الله الذي وصفهم الله بقوله:﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

٣- **فَتْحُ الْأَبْوَابِ:** جاء مع أبواب جهنم الفعل المبني على ما لم يُسَمَّ فالعلُة [فُتِحَتْ] بدون واو, أما مع أبواب الجنة فقد جاء الفعل ذاته [وَفُتِحَتْ] بالواو, وإنّما " جيء هنا بالواو دون التي قبلها؛ لأن أبواب السجن تكون مغلقةً إلى أن يجيئها صاحبُ الجريمة؛ فيُفتح له, ثم تُغلق عليه؛ فناسب ذلك عدمُ الواو فيها, بخلاف أبواب السرور والفرح, فإنها تفتَّحَتِ انتظارًا لمن يدخلها"(٥٢), فالفرق هو " أن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، فأما أبواب الجنة ففتحُها يكون متقدِّمًا على وصولهم إليها, بدليل قوله:{ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأبْوَابُ} [ص:٥٠]؛ فلذلك جيء بالواو, كأنه قيل: حتى إذا جاءوها, وقد فُتِحَتْ أبوابُها"(٥٣).

٤- **جَوَابُ الشَّرْطِ:** في حال أصحاب الجحيم قد تم ذكرُ جواب شرط [إِذَا] في

(٤٩) في ظلال القرآن, سيد قطب - تفسير الآية ٣١ من سورة ق.
(٥٠) النكت والعيون تفسير الماوردي- ج٥/ ص٣٨٠.
(٥١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- ج٧/ ص٢٦٤.
(٥٢) اللباب في علوم الكتاب-ج١٦/ ص٥٥٤.
(٥٣) التفسير الكبير-ج٢٧/ ص٢٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قوله- تعالى!:﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. فجملة [فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا] هي جواب الشرط. أما مع المتقين فقد تم حذفُ جواب شرط [إِذَا] في قوله- تعالى!:﴿إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾, فجملة [وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا] ليست هي جواب الشرط, بل جملة مستأنفة, وحذف جواب الشرط " للدلالة على أن لهم - حينئذ - من الكرامة والتعظيم ما لا يُحيط به الوصف, وأن أبواب الجنة تُفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين"(٥٤). وقد أكد ذلك المعنى النسفيُّ " إلا أن جزاءها محذوف, وإنما حذف لأنه في صفة ثواب أهل الجنة؛ فدلَّ بحذفه على أنه شيءٌ لا يحيط به الوصف"(٥٥).

٥- **الْخَزَنَةُ**: ثمة تقابل آخر هو خزنة الجنة وخزنة النار, شتان بينهما؛ فزبانية جهنم ملائكة غلاظ شِدَاد يقرعونهم ويزجرونهم, وأما خزنة الجنة- وفي ديدبانهم رضوان- فهم ملائكة رحماء مشفقون داعُون يستبشرون, يستقبلونهم بترحاب حانٍ.

إن النظم القرآني الحكيم قد حَرَصَ على تكامل الصورة التقابلية بين حالين؛ لِمَا لتلكم المقابلة من بالغ الأثر في النفس؛ فيكون الخوف والرَّهَبُ من درك أهل الشقاء, والطمع والرَّغَبُ في مآل أهل الاصطفاء لدار الكرامة والنعيم والبقاء، فبضدِّها تتميز الأشياء, وتكتمل الصورة التقابلية بما تحدثه من إيضاح.

النَّمُوذَجُ الرَّابِعُ:

قد سبق ذِكْرُ أنماط التناص, وأن منه نمطا تفاعليا خفيا, هو [التناص التفاعلي], وألمحتُ إلى أنه من الأهمية بمكان؛ لكونه معولا دافعا وهْمَ الاضطرابِ عن آي الكتاب العزيز مِنْ قِبْلِ الجهلة والمغرضين والمتشككين الذين ادَّعَوْا أن في القرآن خلطا واضطرابا في أكثرَ من موضع.

ثمة من الآيات ما يرد على ظاهرها من أنه نوع من التناقض, بيد أنه بشيء من التدبر والتأني والتأمل، وبدراسة ما تناص معها من الآيات يظهر جليًّا التفاعل بينها, لا التضارب والاضطراب المُدَّعَى من ضَيِّقي الأُفُقِ.

(٥٤) تفسير البيضاوي-ج٥/ ص٨٠.
(٥٥) تفسير النسفي-ج٢/ ص١٠٤٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من ذلك قول الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠]. يدل ظاهر الآية على أن الكفار لا عقول لهم أصلا، لأن قوله:﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النفي؛ أي أنها تدل على العموم.

وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ أُخَرُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ لَهُمْ عُقُولٌ يَعْقِلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا كَقَوْلِهِ- تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَبَيَّنَ لَكُمْ مِن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٨].

والمعنى – كما بينه الشنقيطي(٥٦)- أَنَّهُمْ يَعْقِلُونَ أُمُورَ الدُّنْيَا دُونَ أُمُورِ الْآخِرَةِ، كَمَا بَيَّنَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!:﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَبَيَّنَ لَكُمْ مِن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٨].

إن النماذج والأمثلة على هذا النمط وغيره من أنماط التناص جِدُّ كثيرة, بيد أني أكتفي بما ذُكر تدليلا على أثر التناص في إيضاح المعنى وتمكينه لدى المفسرين, فضلا عن مراعاة مقتضيات نشر البحث.

مُخْتَتَمٌ:

وبعد، فإنَّ ما سيق من مسائل هذا البحث لَهُوَ بعضُ ما خطر، ولو أني رحتُ أضربُ الأمثالَ، وأتتبع المقارناتِ لأكثرتُ في غير حاجة ملحة، لكن حسبي أني أدلفت إلى نماذج أستجلي بها ما ذهبتُ إليه من فِكَرٍ، وإلى ما أردت أن أزاحمَ به سدنة القرآن الكريم ومفسّريه، وأستبقَ معهم في ظله مكانا، وإني لأرجو أن أكون وفقت فيما أردت، ووفيتُ ما قصدت، وإن لم يكن فأسأل الله أن يصفحَ عني بكرمه من الكلام في كتابه بغير عِلْمٍ, ويفتحَ لي سبيلا إلى كلِّ فَهْمٍ. وصلِّ اللهم، وسلِّمْ على سيدِنا محمَّدٍ وآله عند مفتتح كل قول وخاتمته.

(٥٦) ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي- ص٢٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الْخَاتِمَةُ

مِمَّا قَدْ سَلَفَ مِنْ تَطْوَافٍ حول [أَثَرِ التَّنَاصِّ فِي تَمْكِينِ الدَّلَالَةِ لَدَى مُفَسِّرِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ] يُمْكِنُ الْخُلُوصُ إِلَى بَعْضِ النَّتَائِجِ وَالتَّوْصِيَاتِ:

أولا: للتناص نصيب موفور في تحليلات مفسري القرآن الكريم ومعربيه، وإنْ كانوا لا يأبهون بالمصطلحات؛ فإنهم لم يكونوا مصروفين عن مضمونه، فإن مصنفاتهم مترعةٌ بهذا الفن وتلك الآلية عند مباشرتهم تفسيرَ النص القرآني الفريد.

ثانيا: إن أردنا أن نضيف جديدا إلى المكتبة التفسيرية فإنه ينبغي أن نتتبع خطى آلية التناص التي من خلالها نجد كنزا ما له نفاد من مدلولات النص القرآني الفذّ الفريد, وهذه الآلية تختلف عن التفسير الموضوعي؛ لأن التناص يكشف وجوها دلالية من التقابل والاختلاف إلى جانب وجوه الاتفاق والائتلاف.

ثالثا: إن وراء كل أنماط التناص القرآني المتعددة سِرًّا عجيبا من الأسرار وعطاءً غير مجذوذ لا يصل إليه إلا المُوفَّقُونَ من أولي الألباب.

رَابِعًا: إشارة الزركشي إلى إهمال بعض من أنماط التناص أو بعضٍ من وجوه الارتباط بين الكلام " وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم, وفوائده غزيرة", بحاجة ماسة إلى للاستثمار والتنقيب؛ للكشف عن مكنون النص القرآني الذي لا ينفَدُ سَيْبُهُ وَرِفْدُهُ وعطاؤه الواصب.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثَبَتُ الْمَصَادِرِ والْمَرَاجِعِ

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي {ت٩١١هـ} - تح: محمد أبو الفضل إبراهيم- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

٢- أحكام القرآن, أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر {ت٣٧٠هـ} - دار إحياء التراث العربي- بيروت- ١٤٠٥هـ- تح/ محمد الصادق قمحاوي.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم, لأبي السعود محمد بن محمد العمادي {ت٩٥١هـ} - دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤- أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم دراسة أسلوبية, عماري عز الدين- جامعة الحاج لخضر باتن-١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٥- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، الخالديان: أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي{ت٣٧١هـ}, وأبو بكر محمد بن هاشم الخالدي[ت٣٨٠هـ}-لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة – ١٩٦٥م- الطبعة الأولى- تحقيق: د. السيد محمد يوسف.

٦- أَشْعَارُ أَصْوَاتِ كِتَابِ [الأَغَانِي] لِلأَصْفَهَانِيِّ, دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ نَصِّيَّةٌ- رسالة مَاجِسْتِير- إعداد/ إبراهيم مُحَمَّد مُحَمَّد الْعَرِينِيّ- إشراف/الأستاذ الدكتور: مُحَمَّد حَمَاسَة عبد اللَّطِيف (رحمه الله!)- جامعة القاهرة - كلية دار العلوم- ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م- برقم {١٨٢٥} بمكتبة رسائل دار العلوم.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي{ت ١٣٩٣هـ} - دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م- تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٨- الإعجاز العددي في القرآن, عبد الرزاق نوفل- ديوان المطبوعات الجامعية- ١٩٨٩م.

٩- أَمْثِلَةُ ابْنِ مَالِكٍ فِي الأَلْفِيَّةِ: دِرَاسَةٌ تَنَاصِّيَّةٌ, د. إِبْرَاهِيم مُحَمَّد مُحَمَّد الْعَرِينِيّ- سرديات- جامعة قناة السويس- العدد١٨- أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ٢٠١٥م.

١٠- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي {ت٧٩٤هـ}، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة الأولى-١٣٧٦هـ = ١٩٥٧- دار

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاؤه- (ثم صوَّرته دار المعرفة- بيروت- لبنان- وبنفس ترقيم الصفحات.
١١- التفاعل النصي والتناصية, في النظرية والمنهج, نهلة الأحمد- كتاب الرياض- دار اليمامة- ٢٠٠٨م.
١٢- تفسير البيضاوي، البيضاوي {ت٦٨٥هـ}- دار الفكر – بيروت.
١٣- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب, فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي {ت٦٠٤ هـ}- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - الطبعة الأولى.
١٤- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين {ت٧١٠هـ}- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو- دار الكلم الطيب- بيروت-الطبعة الأولى-١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
١٥- التناص عند عبد القاهر الجرجاني, د. محمد عبد المطلب- مجلة علامات- السعودية- جدة - ج٣ م١- شعبان ١٤١٢هـ - مارس ١٩٩٢م.
١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن, محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر{ت٣١٩هـ}- دار الفكر- بيروت – ١٤٠٥هـ.
١٧- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي {ت٦٧١هـ}- دار الشعب – القاهرة.
١٨- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني, علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي {ت٤٥٠هـ}- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٤١٩ هـ-١٩٩٩م-ط١-تح/ الشيخ علي محمد معوض, الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
١٩- الخصائص, لابن جني- بيروت- الطبعة الثانية- تحقيق: محمد علي النجار.
٢٠- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب- محمد الأمين الشنقيطي{ت١٣٩٣هـ}- مجمع الفقه الإسلامي- جدة- دار عالم الفوائد.
٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلَّامة الألوسي البغدادي {ت١٢٧٠هـ}- دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٢- السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها, د. بدوي طبانة - نهضة مصر.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٢٣- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي {ت٤٦٣هـ}- دار الجيل - بيروت- ١٤٠١=١٩٨١م- ط٥- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
٢٤- عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي {ت٣٢٢هـ}- مكتبة الخانجي- القاهرة- تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع.
٢٥- الفصول في الأصول، أحمد بن علي الرازي الجصاص {ت٣٧٠هـ}- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- الكويت- ١٤٠٥هـ- الطبعة الأولى- تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي.
٢٦- في ظلال القرآن, سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي {ت١٣٨٥هـ}- دار الشروق- بيروت- القاهرة- الطبعة السابعة عشر- ١٤١٢هـ.
٢٧- قضايا الحداثة عند القاهر الجرجاني, د. محمد عبد المطلب – لونجمان.
٢٨- قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني {ت٤٨٩هـ}- دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م- تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.
٢٩- كتاب سِيبَوَيْهِ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سِيبَوَيْهِ {ت١٨٠هـ}- دار الجيل– بيروت- الطبعة الأولى- تحقيق: عبد السلام هارون.
٣٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- دار إحياء التراث العربي – بيروت- تح/ عبد الرزاق المهدي.
٣١- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني {ت٨٨٠هـ}- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان- ط١-١٤١٩ هـ = ١٩٩٨م- تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود, والشيخ علي محمد معوض.
٣٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير- المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت - ١٩٩٥م- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.
٣٣- مجاز القرآن, أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي- مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٥٤م- الطبعة الأولى- تحقيق: د. محمد فؤاد سزكين.
٣٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأندلسي {ت٥٤٦هـ}- دار الكتب العلمية- لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م- الطبعة الأولى- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
٣٥- مدخل لجامع النص, جريارد جينيت, ترجمة: عبدالرحمن أيوب- دار توبقال- الدار البيضاء- الطبعة الأولى- ١٩٨٥م.
٣٦- معاني القرآن الكريم، النحاس {ت ٣٣٨هـ}- جامعة أم القرى- مكة المكرمة – ١٤٠٩هـ- الطبعة الأولى- تحقيق: محمد علي الصابوني.
٣٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني- دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م- الطبعة الأولى.
٣٨- المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي, الأستاذ الدكتور/ عبد الصبور شاهين- رحمه الله!- مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي- القاهرة –١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٣٩- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري {ت ٤٥٠هـ }- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
٤٠- الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، حسين المرصفي- مطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز- ١٢٩٢هـ- ١٨٧٥م.

. . .

Translation of sources and references into English:

List the sources and references

First: The Holy Qur'an

Second: Sources and references

1- Perfection in the Sciences of the Qur'an, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti {d. 911 AH} - edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim - Egyptian General Book Authority - 1394 AH = 1974 AD.
2- Ahkam al-Qur'an, Ahmed bin Ali al-Razi al-Jassas Abu Bakr {d. 370 AH} - Arab Heritage Revival House - Beirut - 1405 AH - edited by Muhammad al-Sadiq Qamhawi.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

3- Guiding the sound mind to the merits of the Holy Qur'an, by Abu Al-Saud Muhammad bin Muhammad Al-Amadi {d. 951 AH} - Arab Heritage Revival House - Beirut.
4- The style of contrast in the last quarter of the Holy Qur'an, a stylistic study, Ammari Ezz El-Din - Haj Lakhdar Batten University - 1431 AH - 2010 AD.
5- Similarities and Analogies from the Poetry of the Forerunners, Al-Khalidian: Abu Othman Saeed bin Hashim Al-Khalidi {d. 371 AH}, and Abu Bakr Muhammad bin Hashim Al-Khalidi [d. 380 AH} - Committee for Authorship, Translation and Publishing - Cairo - 1965 AD - First Edition - Verified by: Dr. Mr. Muhammad Youssef.
6- Poems of the Voices of the Book [of Songs] by Al-Isfahani, a textual grammatical study - Master's thesis - prepared by Ibrahim Muhammad Muhammad Al-Arini - Supervised by Professor Dr. Muhammad Hamasa Abdul Latif (may God have mercy on him!) - University Cairo - Dar Al Uloom College - 1428 AH = 2007 AD - No. {1825} in the Dar Al-Ulum Letters Library.
7- Adwa' al-Bayan fi Ihdāh al-Qur'ān fi Ilḥāḥ al-Qur'an, Muhammad al-Amin ibn Muhammad ibn al-Mukhtar al-Shanqeeti {d. 1393 AH} - Dar Al-Fikr for Printing and Publishing - Beirut - 1415 AH - 1995 AD - Investigation: Research and Studies Office.
8- The numerical miracle in the Qur'an, Abdul Razzaq Nofal - Office of University Publications - 1989 AD.
9- Examples of Ibn Malik in Al-Alfiyyah: An Intertextual Study, Dr. Ibrahim Muhammad Muhammad Al-Arini - Narratives -

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Suez Canal University - Issue 18 - October, November and December 2015 AD.

10- Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur al-Zarkashi {d. 794 AH}, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim - first edition - 1376 AH = 1957 - House of the Revival of Arabic Books - Issa al-Babi al-Halabi and his partners - (then I photographed it Dar Al-Ma'rifa - Beirut - Lebanon - with the same page numbering.

11- Textual interaction and intertextuality, in theory and method, Nahla Al-Ahmad - Al-Riyadh Book - Al-Yamamah House - 2008 AD.

12- Tafsir Al-Baydawi, Al-Baydawi {d. 685 AH} - Dar Al-Fikr - Beirut.

13- Al-Tafsir Al-Kabir or Keys to the Unseen, Fakhr Al-Din Muhammad bin Omar Al-Tamimi Al-Razi Al-Shafi'i {d. 604 AH} - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - 1421 AH - 2000 AD - First Edition.

14- Tafsir al-Nasafi (Plances of Revelation and Facts of Interpretation), Abu al-Barakat Abdullah bin Ahmad bin Mahmoud Hafez al-Din {d. 710 AH} - verified and its hadiths produced by: Yusuf Ali Badawi, reviewed and submitted to him by: Muhyiddin Deeb Masto - Dar Al-Kalam Al-Tayeb - Beirut - First Edition -1419 AH = 1998 AD.

15- Intertextuality according to Abdul Qaher Al-Jarjani, Dr. Muhammad Abd al-Muttalib - Alamat Magazine - Saudi Arabia - Jeddah - Part 3 AD 1 - Shaaban 1412 AH - March 1992 AD.

16- Jami' al-Bayan on the Interpretation of Verses of the Qur'an, Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Khalid al-Tabari Abu Jaafar

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

{d. 319 AH} - Dar Al-Fikr - Beirut - 1405 AH.

17- Al-Jami' Li Ahkam Al-Qur'an, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed Al-Ansari Al-Qurtubi {d. 671 AH} - Dar Al-Shaab - Cairo.

18- Al-Hawi Al-Kabir in the jurisprudence of the Imam Al-Shafi'i doctrine, which is an explanation of Mukhtasar Al-Muzani, Ali bin Muhammad bin Habib Al-Mawardi Al-Basri Al-Shafi'i {d. 450 AH} - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon - 1419 AH - 1999 AD - 1st edition - edited by Sheikh Ali Muhammad Moawad, Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawjoud.

19- Characteristics, by Ibn Jinni - Beirut - Second Edition - Edited by: Muhammad Ali Al-Najjar.

20- Preventing the illusion of confusion about the verses of the Book - Muhammad Al-Amin Al-Shanqeeti {died 1393 AH} - Islamic Jurisprudence Academy - Jeddah - Dar Alam Al-Fawa'id.

21- The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis, by Al-Alusi Al-Baghdadi {d. 1270 AH} - Dar Revival of Arab Heritage - Beirut.

22- Literary theft: a study in creating and imitating literary works, Dr. Badawi Tabana - Nahdet Misr.

23- Al-Umdah fi Mahasin al-Poetry and its Literature, Abu Ali al-Hasan bin Rashiq al-Qayrawani al-Azdi {d. 463 AH} - Dar Al-Jeel - Beirut - 1401 = 1981 AD - 5th edition - Edited by: Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid.

24- The Caliber of Poetry, Abu Al-Hasan Muhammad bin Ahmed bin Tabataba Al-Alawi {d. 322 AH} - Al-Khanji Library - Cairo - Edited by: Abdul Aziz bin Nasser Al-Mana.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

25- Al-Fusool fi Al-Usul, Ahmed bin Ali Al-Razi Al-Jassas {d. 370 AH} - Ministry of Endowments and Islamic Affairs - Kuwait - 1405 AH - First Edition - Investigation: Dr. Ajeel Jassim Al Nashmi.

26- In the Shadows of the Qur'an, Sayyid Qutb Ibrahim Hussein Al-Sharibi {d. 1385 AH} - Dar Al-Shorouk - Beirut - Cairo - Seventeenth Edition - 1412 AH.

27- Issues of modernity according to Al-Qahir Al-Jarjani, Dr. Muhammad Abdul Muttalib - Longman.

28- Cutters of Evidence in Usul, Abu Al-Muzaffar Mansur bin Muhammad bin Abdul-Jabbar Al-Sam'ani {d. 489 AH} - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut - 1418 AH - 1997 AD - Investigation: Muhammad Hassan Muhammad Hassan Ismail Al-Shafi'i.

29- The Book of Sibawayh, Abu Al-Bishr Amr bin Othman bin Qanbar Sibawayh {d. 180 AH} - Dar Al-Jeel - Beirut - First Edition - Edited by: Abdul Salam Haroun.

30- Al-Kashshaf about the facts of the revelation and the eyes of the sayings in the faces of interpretation, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari Al-Khwarizmi - Arab Heritage Revival House - Beirut - edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi.

31- Al-Lubab fi Ulum al-Kitab, Abu Hafs Siraj al-Din Omar bin Ali bin Adel al-Hanbali al-Dimashqi al-Numani {d. 880 AH} - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut / Lebanon - 1st edition - 1419 AH = 1998 AD - edited by Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawjoud and Sheikh Ali Muhammad Moawad.

32- The prevailing proverb in the literature of the writer and poet, Abu al-Fath Diya al-Din Nasrallah bin Muhammad bin

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

Muhammad bin Abdul Karim, known as Ibn al-Atheer - Modern Library for Printing and Publishing - Beirut - 1995 AD - Investigation: Muhammad Mohi al-Din Abdul Hamid.

33-Metaphor of the Qur'an, Abu Ubaida Muammar bin Al-Muthanna Al-Taymi - Al-Khanji Library - Cairo - 1954 AD - First Edition - Investigation: Dr. Muhammad Fouad Sezgin.

34-The brief editor in the interpretation of the dear book, Abu Muhammad Abd al-Haqq

35-Introduction to the Text Jami', Gerard Genette, translated by: Abdel Rahman Ayoub - Dar Toubkal - Casablanca - first edition - 1985 AD.

36-Meanings of the Holy Qur'an, Al-Nahhas {d. 338 AH} - Umm Al-Qura University - Mecca - 1409 AH - First Edition - Edited by: Muhammad Ali Al-Sabouni.

37-Manahil al-Irfan fi Ulum al-Qur'an, Muhammad Abd al-Azim al-Zarqani - Dar Al-Fikr - Lebanon - 1416 AH - 1996 AD - first edition.

38-The Phonological Approach to Arabic Structure: A New Vision in Arabic Morphology, Professor Dr. Abdel Sabour Shaheen - may God have mercy on him! - Cairo University Press and University Book - Cairo - 1397 AH - 1977 AD.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

39-Jokes and Eyes (Interpretation of Al-Mawardi), Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Habib Al-Mawardi Al-Basri {d. 450 AH} - Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon - Edited by: Al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud bin Abd al-Rahim.

40-The Literary Method for Arabic Sciences, Hussein Al-Marsafi - Royal Schools Press in Darb Al-Jamamiz - 1292 AH - 1875 AD.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898